

مقال مراجعة موضوع
نقد المنهج في كتاب (نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبستمولوجي)

م.د. علي سرمد حسين
alisarmad4321@gmail.com
المديرية العامة للتربية في محافظة بابل

الملخص:-

إن القول بالابستمولوجيا بوصفها منهجاً لنقد النقد أشار إليها أول الأمر حميد لحمداني في كتابه سحر الموضوع على الرغم من أن هذا الناقد لم يكن يؤمن بمنهجية قارة في مجال نقد النقد، والكتاب الذي موضوع المقال قد تبنى صراحة الأبستمولوجيا كمنهج لنقد النقد، غير أن الأبستمولوجيا لا يمكن أن تكون منهجاً ثابتاً لنقد النقد؛ لأن مساحة النقد الأدبي واسعة ومرحلة على وفق خطوط معرفية كثيرة، وهذا الترحل لا يمكن أن نعتمد فيه على منهج أحادي يضبطه، وفي هذه المساحة ينطلق مقالنا لنقد ذلك المنهج وبيان قصوره.

الكلمات المفتاحية: نقد النقد، النقد الأدبي، نقد المنهج، نقد الأبستمولوجيا.



***Review article: A critique of the method in the book (Critique
(of Literary Criticism for an Epistemological Approach***

Dr. Ali Sarmad Hussein

General Directorate of Education in Babylon Governorate

Abstract:-

The idea of epistemology as a method for criticizing criticism was first referred to by Hamid Lahmadani in his book The Magic of the Subject, although this critic did not believe in a fixed methodology in the field of criticism of criticism, and the book that is the subject of the article explicitly adopted epistemology as a method for criticizing criticism. However, epistemology cannot be a fixed method for criticizing criticism, because the area of literary criticism is vast and shifts according to many cognitive lines, and this shift cannot be relied upon on a single method to control it. In this space, our article begins to criticize that method and demonstrate its shortcomings.

Keywords: Criticism of criticism, literary criticism, criticism of methodology, criticism of epistemology. .

يعدُّ كتاب (نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبستمولوجي) لعبد الواحد المرابط من الكتب القلائل التي حاولت أن تؤسس منهجية لنقد النقد، والكتاب يقع في ثلاثة فصول، تطرّق في الفصل الأول إلى المنهج الأبستمولوجي في نقد النقد وحاول أن يبيّن فيه أبعاد النقد الأدبي ووظائفه، أما الفصل الثاني والثالث فقد جاء بوصفه تطبيقاً تلك الرؤية على كتابي الخطيئة والتكفير، والرؤى المقنعة.

إن القول بفكرة المنهج أمر غاب عن كثير من النقاد ومن بينهم حميد لحداني وإن أشار ضمناً إليه إلّا أنه لم يكن يؤمن بمنهجية لنقد النقد، لأنه بحسب تصوره لا يمكن مواجهة أيديولوجية بأيديولوجيا وهو تصوّر قاصر معرفياً؛ لأنّه في نظرنا لا يمكن بناء أي تصور نقدي من دون التأسيس لمنهجية واضحة، وهذا القصور حاول أن يتجاوزه عبد الواحد وذلك باقتراح مفهوم الأبستمولوجيا كبعد منهجي لنقد النقد، لكن حتى هذا الأخير لا يمكن أن نعتمده منهجاً لنقد النقد، لأسباب تتعلق بمنطلقات النقد ذاته. إذ ليس كل عمل نقدي نستطيع أن ننتقده انطلاقاً من المنهج الأبستمولوجي.

أول ملاحظة نقدية نوجهها لهذا الكتاب أنه لم يتطرق لمفهوم الأبستمولوجيا لا في حقولها الفلسفية ولا النقدية الذي يزعم الكتاب أنه يؤسس لها، وهذه مشكلة معرفية كبرى، لأنه لا يمكن إغفال الجانب الفلسفي في التأسيس لأي نظرية أدبية أو نقدية، وحين نغوص في أعماق الفصل الأول الذي هو مدار النظرية والمعنونة (المنهج الأبستمولوجي في نقد النقد الأدبي) نجد أن الكتاب لم يتطرق لخاصية المنهج، وإنما تطرّق لسؤال ما الأدب؟ وما النقد، نقرأ في مقدمة الفصل (كل تعريف للأدب إلا ويشكل تصوراً من تصورات، أو يعبر عن نظرية من نظرياته في إطار اتجاه نقدي معين، له سياقه الخاص وله تمثله المتفرد لطبيعة الأدب ووظيفته)^(١)

إن هذا المدخل لا يمكن أن يكون مدخلاً لفصل يزعم أنه يؤسس لمنهجية أبستمولوجيا لنقد النقد، لأن سؤال ما الأدب قد أشبع بحثاً في الدراسات الغربية والعربية على حد سواء، أضف إلى ذلك أن ما بعد الحداثة تجاوزت هذا السؤال، وبدأت تتحدث عن الجنس العابر للأنواع انطلاقاً من تصورها القائم على الهدم وانمحاء الحدود والحريات، والأمر ذاته ينسحب على سؤال ما النقد؟ ليخلص من هذا السؤال الأخير ((أن الطابع الإشكالي ملازماً لمفهوم النقد بسبب ما يخضع له من تطور وتحول من جهة، وبسبب ما يتوزّعه من منظورات واتجاهات من جهة أخرى))^(٢).

طيب إذا كان النقد ذاته متنوع فكيف بنقد النقد الذي هو بناء خطاب على خطاب سابق له، وفي هذه المساحة يرى الباحث من خلال تطرقه لسؤال ما الأدب وما النقد الذي لا يخلو من الإشكال المعرفي والانتباس، أنه ليست غايته الإجابة عن هذين السؤالين أو حل تلك الإشكالية، بل غايته ((أن يحتكم فيه

^١ نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبستمولوجي، عبد الواحد المرابط، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠٢٥: ١٧.

^٢ نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبستمولوجي: ١٩.

لغايات علمية ومنهجية، وذلك من خلال تصورين متراكبين: الأول يتعلق بفهم النقد الأدبي وتحديد أبعاده، والثاني يتعلق بضبط إطار نقد النقد الأدبي ورسم وظائفه، وسيفضي ذلك إلى بلورة تصور منهجي شامل يحدد الأبعاد والوظائف ويعيد رسم العلاقات المعرفية بين النقد ونقد النقد من جهة، ثم بين نظرية الأدب ونظرية النقد وتاريخ النقد من جهة أخرى^(١)

الملاحظ على الكلام السابق أنه لا يفرق بين منهجية نقد النقد وبين الوظيفة وكأنه جعل وظيفته موازية للمنهج، في حين أن المنهج شيء والوظيفة شيء آخر، وهذا التصور جعل من الكتاب أن يتحدث عن وظيفة نقد النقد وليس منهجيته، من هنا نجده يعزل نقد النقد عن نظرية الأدب ونظرية النقد وتاريخ النقد، في حين أن هذه الفروع كلها جزء يشتغل عليها نقد النقد، بمعنى أن نقد النقد مساحة اشتغاله النقد الأدبي ونظرية النقد والأدب وتاريخ النقد أيضاً، وكذلك يشتغل على نفسه أيضاً.

وهذا الأمر جعل من الكتاب بحث في وظيفة نقد النقد وليس منهجيته، إذ يقول في معرض حديثه عن نقد النقد الأدبي ووظائفه ((وقد عمدنا إلى إعداد ذلك التصور بالاستناد إلى بعض الجهود المثمرة التي قدمها الباحثون في هذا المجال، حيث استفدنا أولاً من الاقتراح المنهجي الذي قدمه حميد لحمداني حول المنهجية العامة لنقد النقد والذي بنى عليه أطروحةً مستوفيةً قلب فيها تربة النقد الروائي العربي وفحصها فحصاً إبستمولوجياً))^(٢)

الملاحظ أن الباحث يتخذ من رؤية حميد لحمداني منطلقاً للتأسيس لمنهجية نقد النقد، وهذا الأمر بحد ذاته إشكالية، لأن حميد لحمداني لم يكن يؤمن بمنهجية لنقد النقد، إذ يقول لحمداني: ((إن الموقع الطبيعي لناقد النقد هو أن يتخلى عن تبني أحد مناهج نقد الإبداع وأن يترك هذا الاختيار لنقاد الإبداع أنفسهم لأن المجال الحقيقي لبحثه ليس هو معرفة الأدب بل معرفة الكيفية التي نعرف بها الأدب))^(٣)، ويتابع لحمداني في رؤيته في عدم تبني ناقد النقد منهجاً بقوله: ((نقد النقد بحكم تخصصه في تأمل مناهج النقد الأدبي سواء في جانبها النظري أم التطبيقي مدعو إلى استخدام أداة الوصف فهي وسيلته الأساسية للنظر في الأعمال النقدية التي من شأنها أن تدرس الفنون الأدبية أما أن يلجأ ناقد النقد إلى دراسة منهج بنفس المنهج وبغيره ودراسة نظريته بنظريته فهذا يعني أنه سيواجه أيولوجية بإيديولوجية أخرى مغايرة لها وعند إذن سيبتعد عن تحقيق القدر الضروري من الموضوعية في تحليلاته واحكامه النقدية))^(٤). إن لحمداني ينظر إلى المناهج النقدية من موضع الأيديولوجيا، وهو بذلك يسقط الفهم الماركسي للأيديولوجيا على النقد، وهذا التصور غير صحيح، لأن ما بعد الحداثة قائمة في عمقها على تجاوز كل أشكال الحقيقة كالأحادية

^١ نقد النقد الأدبي من أجل منهج إبستمولوجي: ٢٠.

^٢ نقد النقد الأدبي من أجل منهج إبستمولوجي: ٥٨.

^٣ سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، حميد لحمداني، مطبعة آنفو، ط ٢، ٢٠١٤: ١٠.

^٤ سحر الموضوع: ١٠.

مقال مراجعة موضوع نقد المنهج في كتاب (نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبستمولوجي)

والشمولية، أي لم تعد تبحث عن الحقيقة بل عن المعنى والقيمة، إذ هناك فرق كبير بين الأيديولوجيا والفلسفة والنقد الذي هو جزء من الفلسفة، فالأيديولوجيا تنطلق من مجموعة أفكار بوصفها حقائق مطلقة وتحاول إرغام الجميع الايمان بها والسعي لتحقيقها، بينما الفلسفة غايتها البحث عن الحقيقة وليس امتلاكها^(١). ليست غايتنا هنا تقديم رؤية نقدية كاملة لحمداني، بل غايتنا أن نبين أن الإشكالية المعرفية التي وقع فيها حمداني ذاتها وقع فيها عبد الواحد، بهذا المعنى يصبح مفهوم الأبستمولوجيا في الكتاب مفهوما قائما على الوصف من جهة والعلمية من جهة أخرى.

انطلاقا مما سبق أغفل الباحث الجانب الفلسفي في التنظير لمفهوم الأبستمولوجيا، وهنا يحق للقارئ أن يسأل ما هي الأبستمولوجيا التي يدعو لها الباحث؟ لا سيما إذا أدركنا أن الأبستمولوجيا أبستمولوجيات، فكل فيلسوف له رؤية خاصة في التأسيس لها، وإن كانت في مجملها تبحث عن الأسباب التي تشكل معرفتنا بالشيء، إذ تدور الأبستمولوجيا عبر تاريخها الطويل حول سؤال جوهرى، ما الذي يشكل مصادر المعرفة؟ فمنهم من قال بالحواس، ومنهم من قال بالقلب، ومنهم من قال بالتجربة، ومنهم من قال بالعقل، ومنهم من قال بالنقد... ألخ^(٢).

وثمة أمر آخر غاية في الأهمية وهو أن فلسفة الاختلاف وما يترشح عنها قائمة على نقد الأبستمولوجيا وتجاوز كل أشكالها، لأنها في نظر هؤلاء الفلاسفة تؤسس لميتافيزيقا الحضور والحقيقة المطلقة والأحادية والمعنى الواحد. وهنا يحق لنا أن نتساءل كيف يتعامل ناقد النقد مع نصوص نقدية تنطلق من هذه التصورات الاختلافية على وفق منهج أبستمولوجي؟ الجواب حتما ستكون منهجية ناقد النقد بعيدة كل البعد عن النص النقدي، وربما يسحب ذلك النص إلى تصورات أيديولوجية بعيدة عن النص النقدي كل بعد، إذ يفقد هذا المنهج كل خصوصيته في تعامله مع النصوص النقدية. بمعنى أنه حتى وإن سلمنا مع الباحث ظاهريا بأن نيته كانت نابعة من رؤية جادة في بناء منهج أبستمولوجي لنقد النقد، فهذا الأمر غير ممكن، لأن الأبستمولوجيا تنظر إلى النص نظرة أحادية ضيقة، وهذه النظرة لا يمكن أن تنطبق مثلا على مناهج ما بعد الحداثة القائمة على تفكيك نظرية المعرفة ذاتها، بمعنى أنه كيف يتعامل هذا المنهج مع نقد حلل نصا تفكيكيا أو ثقافيا، بالتأكيد سيكون الأمر بعيد عن الموضوعية، لأن التفكيك لا يؤمن بأي مسلمة قبلية تشكل معرفة النص، ولا يوجد شيء خارج النص، وهذا التصور بحد ذاته يتجاوز الأبستمولوجيا، والحال ذاته مع النقد الثقافي القائم على استخراج الأنساق الثقافية المضمررة في النص، هذا فضلا عن إشكالية ناقد النقد بمسألة الالتزام بالمنهج الواحد.

^١ للاستزادة حول هذا الموضوع ينظر: عصر الأيديولوجية، هنري أيكن، ترجمة فؤاد زكريا، مؤسسة هندواي، ٢٠١٧.

^٢ وما بعدها.

^٣ ينظر: نظرية المعرفة، زكي نجيب محمود، مؤسسة هندواي، ٢٠١٧: ٣٥ وما بعدها.

إن الإشكالية السابقة هي التي منعت الباحث أن ينظر إلى الأبيستمولوجيا فلسفياً، وأن يجعل منه مجرد وظيفة، إذ نجده يحدّد نقد النقد الأدبي بثلاث وظائف: حوارية، وتاريخية وأبيستمولوجية، وقد ركّز الباحث على الوظيفة الأخيرة في التأسيس لمنهج نقد النقد، يقول: ((أما الوظيفة الأبيستمولوجية فتكمن في التركيز على الجانب العلمي والنظري للعمل النقدي، حيث يتم فحص المناهج والمفاهيم المستعملة من قبل الناقد ... فهذه الاستجابة تجعل ناقد النقد يضع نصب عينيه البناء العلمي للعمل النقدي فيرصد فيه المرجعيات النظرية والمنهجية والمفاهيم...))^(١)

إذ يرى الباحث أن مجرد الإشارة إلى مفهوم أو إجراء منهجي استعمله الناقد تدل على حضور تلك الوظيفة، ويتابع ذلك بقوله فإننا ((نخص هذا المحور بالحديث عن الوظيفة الأبيستمولوجية التي تجعل نقد النقد يركز على البناء العلمي في العمل النقدي وسبل دراسته ... يسمى هذه الاستراتيجية بالكشفية اقترحها فيلسوف العلم لأكاتوس تمكنا من النظر الى العمل النقدي بصفته برنامج بحث علمي))^(٢)

الملاحظ على الكلام السابق أنه جعل من هذه الوظيفة فعل موازي لمفهوم العلمية، بمعنى أن على ناقد النقد أن يتحلّى بالجانب العلمي، وهنا يحق لنا أن نتساءل هل ناقد الإبداع لا ينطلق من منطلقات علمية؟ الجواب أن النقد الحديث بمجمله ذات طابع علمي وإن اختلفت النسب بين المناهج من حيث قابلية بعضها على التأويل والاختلاف. بمعنى أن مجرد القول بأن على ناقد النقد ينبغي أن يراعي الحقيقة العلمية هذا غير كافٍ من دون منهج يضبطه، لأن هناك الكثير من الدراسات التي تدّعي العلمية وفي عمقها تصورات أيديولوجية أو نسقية أو نابعة من عدم فهم الناقد بالمعرفة الحقة.

ثم يحدد مقاييس ذلك المنهج على وفق مستويات التحليل الآتي:

١-أهداف الناقد

٢-الموضوع والمتن

٣-المستندات النظرية

٤-منطلقات الناقد

٥-العمليات النقدية

٦-نتائج العمل النقدي

^١ نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبيستمولوجي: ٦٧.

^٢ نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبيستمولوجي: ٧١.

مقال مراجعة موضوع نقد المنهج في كتاب (نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبستمولوجي)

إن المقاييس السابقة ليست تأسيساً لمنهج في نقد النقد قائم على الأبستمولوجيا، وإنما هي مقاييس عامة وقد قال بها غير باحث تحت مسميات مختلفة، من قبيل مهام نقد النقد، أو معايير أو وظائف، حتى وإن افترضنا أنها مقاييس أبستمولوجية فإن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو المنهج الذي سيتبعه ناقد النقد في تتبع تلك المقاييس؟ الجواب لا يوجد منهج واضح المعالم قد أسس له الباحث وهو يتتبع تلك المقاييس، لأنها خالية من أي منهج يتبعه ناقد النقد سواء أكان ذلك المنهج أحادياً أم تعددياً. وجدير بالتنويه أن هذه المقاييس بحد ذاتها غير كافية لناقد النقد وهو ينقد النقد، بمعنى أنه كيف تتعامل هذه المقاييس مع نص نقدي حلل نصاً ثقافياً أو أيديولوجياً؟ في الوقت الذي ينبغي أن تكون مهام نقد النقد واسعة وقادرة على تفحص جميع الخطابات بما فيها خطاب السلطة والثقافة. وفي هذه المساحة يرى الناقد باقر جاسم أن من وظائف نقد النقد ((أنه يقوم بتفكيك مقولات النقد الأدبي لفحص العناصر الأيديولوجية...، ويحدد طبيعة الأنساق المضمرة التي جعلت ناقد النقد الأدبي أن يتبنى منهاجاً نقدياً دون سواه))^(١)

وفي هذه المساحة يمكن القول إن الكتاب لم يؤسس لأي منهج، لأن رؤية المنهج عنده ضبابية وغير منضبطة هي الأخرى منهجياً، ولهذا فالكتاب ليس تأسيساً لمنهج أبستمولوجي لنقد النقد، بل بحثاً في الرؤية والوظيفة، يسبقها بحث في مهام النقد. على أن رؤيتنا هذه لا يعني ترك نقد النقد بدون منهجية كما هو الحال عند لحداني وكثير من النقاد العرب، بل على العكس من ذلك تماماً، لأنه لا يمكن بناء أي تصور معرفي عملي من دون منهج يرسم ملامحه ويحدد أبعاده، أي لا بد من منهج لنقد النقد، وطبيعة هذا المنهج ينبغي أن يكون مرناً ينسجم مع جميع التصورات التي ينطلق منها النقد الأدبي ابتداءً من الشكلايين الروس مروراً بالبنوية وجميع مناهج الحداثة انتهاءً بالتفكيك والتلقي والنقد الثقافي.

المصادر

- سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، حميد لحداني، مطبعة آفوق، ط ٢، ٢٠١٤.

- عصر الأيديولوجية، هنري أليكن، ترجمة فؤاد زكريا، مؤسسة هندواي، ٢٠١٧: ٢٢ وما بعدها.

- نقد النقد أم الميتا نقد، باقر جاسم، مجلة عالم الفكر، العدد ٣٧، المجلد ٣٧، ٢٠٠٩.

- نظرية المعرفة، زكي نجيب محمود، مؤسسة هندواي، ٢٠١٧.

- نقد النقد الأدبي من أجل منهج أبستمولوجي، عبد الواحد المرابط، دار كنوز المعرفة، عمان، ط ١، ٢٠٢٥.

^١ نقد النقد أم الميتا نقد، باقر جاسم، مجلة عالم الفكر، العدد ٣٧، المجلد ٣٧، ٢٠٠٩: ١٢٢، ١٢٣.

